فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "مجالس القرآن"
تفسير سورة يس (من آية 45: آية 65)
(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: د.أحمد عبد المنعم

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-106210.htm

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم

بإذن الله عز وجل نستكمل تفسير سورة يس، كنا توقفنا عند قول الله عز وجل آية 45 "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ" يس: 45، 46.

بدأ شوط بعد شوط الآيات اللي ربنا سبحانه وتعالى ذكرها وآية لهم وآية لهم وآية لهم ثلاث مرات وآية لهم، ربنا سبحانه وتعالى ذكر في الأول زي ما قلنا عشان نراجع كدا بسرعة على السورة، المقدمة الأولى لِما ينبغي أن يكون عليه الدعاة من اليقين في ما هم فيه فأقسم الله عز وجل "يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" يس: 1: 3، ثم بين الله عز وجل مدى ما وصل إليه المجتمع اللي النبي صلى الله عليه وسلم بعث فيه من قمة الإعراض والبعد عن النذارة وطال عليهم الأمد، وإن هم في غاية القسوة لأنهم طال عليهم الأمد بعيدًا عن المواعظ وبعيدًا عن التذكير، ثم ذكر الله عز وجل نموذج لبردو قرية بلغت من العتو والكبر والعياذ بالله إن أي حد بينذرهم وبيدعوهم إلى الله عز وجل يهموا بقتله بل بالفعل قتلوه كما هموا بقتل الرسل وقتلوا مؤمن آل يس، ثم ذكر الله عز وجل إن الآيات الكونية اللي محيطة بهم في الكون كانت كافية لأن يعودوا إلى الله عز وجل، فبالرغم من إن فيه آيات كونية وآيات قرآنية أنزلها الله عز وجل لهم إلا أنهم أعرضوا.

فبعد شوط وآية لهم وآية لهم فيقول الله عز وجل "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ..." يعني بعد كل الآيات دي لو الآيات اللي فيها قدرة منفعتش معاكو، لو آية إخراج النبات من الأرض الميتة، لو آية الإظلام وآية الإضاءة، آية الشمس والنور، لو آية المنة التي تستحق الشكر، آية المنة وفضل ربنا سبحانه وتعالى أنه حملكم في السفينة وفي الفلك المشحون، كل هذه الآيات لم تنفع معكم، طيب انظروا إلى بقايا إهلاك السابقين، فقال الله عز وجل "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ..." قيل ما بين أيديكم أي العذاب الذي حدث لمن قبلكم، وقيل ما بين أيديكم: القولين اتقالوا العكس يعني إما ما بين أيديكم العذاب اللي حصل للسابقين وما خلفكم يعني يوم القيامة والساعة أو العكس، اتقوا ما بين أيديكم يعني الساعة وما خلفكم من العذاب اللي فات، الشاهد إن ربنا سبحانه وتعالى يذكرهم بآثار إهلاك السابقين، وكانوا يمرون على هذه الآثار ويعلمون إن في قوم هنا أهلكوا وإن في قوم دي بقايا هؤلاء القوم، حاجة عجيبة جدًّا الواحد يعدي على مكان أهلك فيه السابقين ولا يؤمن، فربنا سبحانه وتعالى بيقولهم وإذا قيل لهم: وبردو المفسرين قالوا لطيفة جميلة في قول الله عز وجل مقالش وإذا قال لهم الرسول، قال وإذا إيه؟ خليكو معايا وإذا إيه؟ وإذا قيل لهم جت مرتين وإذا قيل ثبوت مبني لغير الفاعل، ليه قيل؟ لأن ربنا سبحانه وتعالى

كأن ربنا بيريد يقول لنا المفروض تتقبل الموعظة من أي حد مش مهم مين القائل، زي ما جيه مؤمن آل يس وراح قالهم " اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ" يس: 20، 21.

يبقى إذًا إنت بتقبل النصيحة أيا كان اللي بيقول النصيحة، متنشغلش بالقائل انشغل بالنصيحة نفسها، هل هي صحيحة أم لا، فقال الله عز وجل "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ..." أيا كان القائل أنت المفروض تنظر في هذه النصيحة وأيضًا لتنوع القائل، يعني مش مثلًا الكلام ده اتقالهم مرة فكانوا متضايقين من اللي قال لهم الكلام ده فمسمعوش الكلام ده، لأ الكلام ده اتقال لهم كثير، مرارًا وتكرارًا فلم يؤثر فيهم "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" يس: 45، زي ما ربنا رحمكم وحملكم في السفينة زي ما ربنا قال "إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ" يس: 44، فحتى يرحمكم الله عز وجل ويديم عليكم هذه الرحمات آمنوا به سبحانه وتعالى، واحذروا أن يَنْزِل عليكم العذاب، فلستم بعيدين عن قدرته، إذا شاء الله عز وجل أن يخسف بكم الأرض خسفها بكم سبحانه وتعالى هو قادر، فربنا بيقول لهم اتقوا أن يحل عليكم ما نزل بالأمم السابقة، اتقوا أن تنزل عليكم صيحة كما نزلت الصيحة وأخذت القوم اللي قتلوا مؤمن آل يس، وإذا لم تتقوا نزول العذاب الدنيوي طيب احذروا الآخرة "اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ" هتيجي هترْجعوا إلى الله عز وجل وهتسألوا عن كل ذلك يوم القيامة "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" العجيب فقال الله عز وجل في ختام شوط الآيات بعد ثلاث مرات وآية لهم وآية لهم وآية لهم "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ" يس: 46، سواء آية كونية، يعني يشوفوا إهلاك السابقين، أو آية قرآنية "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ"يس: 46، ربنا مقالش إلا أعرضوا، قال إيه؟ "إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ"، إيه الفارق ما بين إلا أعرضوا وإلا كانوا عنها معرضين؟ إلا أعرضوا يعني هو عنده استعداد يسمع وبعد ما بيسمع الآية يقول لأ مش عجباني فيعرض "إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ"، هو أصلا مستمر في الإعراض لا يريد أن يسمع زي "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ" الأنبياء: 2، هما قاعدين بيلعبوا، هو مش عايز يؤمن مش عايز يسمع أي كلام عن الدار الآخرة، لا يريد أن يسمع أي حاجة تذكره بالدار الآخرة فقال الله عز وجل "إِلَّا كَانُوا" كلمة كانوا يعني كانوا مستقرين في الإعراض، حالهم حال الإعراض يلعبون ويلهون دائمًا وأبدًا لا يريدون أن يسمعوا أي آية تذكرهم بالدار الآخرة؛ فالإنسان الداعية بيستشف، الداعية بيستشف الحالة بتاعت المدعو، لَمّا يرى إن هو مغرق في الإعراض وهو مغرق في الله يعرف إن دي مش الحالة اللي يستمع فيها لما يجي يكلمو لازم ينقلو من الحالة دي الأول، لأن مش هتروح لواحد وهو في قمة الشهوة وفي قمة المعصية وأنت بتنذره ولا يريد أن يسمع الآن، أنت محتاج تنقلو بعيدًا عن هذا الوضع تنتزعه بعيدًا عن هذا المجتمع اللي مليء بالإعراض، لذلك غالب اللي بينجو زي ما قلنا، اللي كان مين، اللي كان في أقصى المدينة، اللي كان بعيد عن جو الإعراض والصخب والشغل واللهو فقال الله عز وجل "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ" س: 46، ده الكلام عن التقوى الكلام عن العقائد منفعش معاهم، طب الكلام عن الأفعال "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ " يس: 47، لما يتقال لهم طب اصرفوا على الفقراء، ودي نقطة

مهمة جدًّا، لما نجد في سورة يس أو في غالب السور المكية نجد إن الخطاب المكي كان غالب الخطاب المكي دعوة إلى التوحيد دعوة إلى الإيمان باليوم الآخر وأيضًا دعوة إلى صنائع المعروف، بل حتى لما ربنا سبحانه وتعالى قال في سورة البلد "لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ" البلد: 1، 2، أي يعني "وَأَنْتَ حِلٌّ" من معانيها والمعنى الأشهر وأنت يستحل عرضك يعني مُسْتَحِلّين يعملوا فيك بيعملوا فيك اللي هما عايزينو، حتى قال بعض المفسرين كانوا يتحرجون يتحرجون قتل الحَمَام في البلد الحرام، ولا يتحرجون من عِرض سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، فشوف كانوا وصلوا لإيه، في نفس السورة دي ربنا يقول "فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ" البلد: 11، 12، إيه العقبة اللي لازم تقتحمها؟ "فَكُّ رَقَبَةٍ" البلد: 13، "أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِينًا﴾ البلد: 14: 16، يبقى إذًا من الأوامر اللي اُسْتُقِر الكلام عليها في مكة الجود، العطاء، البذل، دي أوامر مبتتغيرش مع تغير الشرائع دي أوامر ثابتة من لدن آدم إلى قيام الساعة، دي حاجات في الفطرة، الإحسان إلى الخلق، البذل، الصدق، الجود، إطعام الفقراء، الحاجات دي ثابتة لا تتغير، ميحصلش فيها نسخ، مينفعش احنا نغيرها لما نبقى ممكنين منعملهاش ولما نبقى مستضعفين نعملها، أو العكس، لما نبقى مستضعفين منعملهاش لأ دي أوامر ثابتة زي ما اتكلمنا في الحاجات الثابتة في أواخر سورة الأنعام القضايا الثابتة التي لا تتغير، لكن قبل ما ربنا يقولهم أو المسلمين يقولوا لهم أنفقوا قالوا لهم الأول إيه؟ "اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ"، ليه؟ لأن لو الدعوة مبنية على مجرد فضائل الأمور: الصدق والأخلاق والبذل من غير توحيد، كانوا ممكن يسمعوا الكلام، لو كان النبي صلى الله عليه وسلم بدأ الدعوة بتاعتو من غير التوحيد ما قال لهمش لا إله إلا الله راح قال لهم إيه؟ احنا عايزين نعمل إصلاح مجتمعي، عايزين نطعم الفقراء عايزين...، من غير ما يكلمهم في التوحيد ،كانت ناس كثير هتنبسط، هتنبسط منو ومش هيعارضوه، لكن بدأ الكلام الأول بالتوحيد بلا إله إلا الله وإنك بتعمل كدا ابتغاء مرضاة الله واللي هينفق ولا يرجو ما عند الله ليس له شيء زي مطعم بن عدي لما أمنا عائشة سألته هل ينفعه ما أطعم قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لا إنه لم يقل يومًا ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين، مفيش ولا مرة قال كدا، يبقى إذًا قبل ما نتكلم مع الناس في الأخلاق والفضائل وصنائع المعروف نكلمهم عنّو ده من لوازم التوحيد، إن ده عبودية لله سبحانه وتعالى "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ" يس: 47، الكفار بدؤوا يردوا بشبهات، شبهات سخيفة، الاحتجاج بالقدر، وديمًا آخر حاجة بيلجأ ليها الكفار الاحتجاج بالقدر، وأول لما الكفار يلجؤوا للاحتجاج بالقدر إنت بتقطع معاهم النقاش لأن تعرف إن دول يراوغون مفيش فايدة منهم أبدًا "قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ" يس: 47، يعني بيقولوا إيه؟ يعني ربنا يخليه جعان واحنا نروح نأكلو؟ طيب إزاي؟ عايزينا نخالف مراد الله؟ شوف الاحتجاج بالقدر، زي ما كانوا راحوا للمؤمنين وقالوا لهم تأكلون ما تذبحون بأيديكم، ولا تأكلون ما ذبح الله؟ يقصدون الميتة، يقولوا لهم إنتوا رايحين تاكلوا اللي

أنت بتذبحوا بإيدك اللي أنت بتسمي بتقول بسم الله وتذبح بإيدك ومتاكلش الميتة؟ بيرمي الشبهة، إنتوا عندكم تناقض، فبردو لَمّا المسلمين دعوهم للإنفاق، ولَمّا المسلمين دعوهم للإنفاق العام، يقال إن كان ده عام جدب وعام انتشر فيه الفقر لما دُعوا إلى الإنفاق وطُلب منهم الإنفاق فقالوا "أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ" مع إن العرب كانت تتفاخر بالإطعام، فكإن الحوار هنا مع أغلظ الناس قلوبًا، سورة يس تتكلم إن في مجرمين لذلك في نفس السورة قال الله عز وجل "وَامْتَازُوا الْيَوْمَ..." أيها الإيه؟ "أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" يس: 59، بتتكلم إن في ناس غليظة القلب وصلت لمرحلة من الغلظة إن كأن الله عز وجل ختم على قلوبها "وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا" يس: 9، في قمة الغلظة وإن في ناس مستضعفة في النص مضحوك عليها، لكن أيضًا هؤلاء ليسوا معذورين، فوصل إن حتى العرب اللي كانت تُفاخر، من عادات العرب إنو بيفاخر بالإطعام، قالك لأ على المسلمين مش هطعم، لو أطعم أي حد إنما للمسلمين لأ مش هطعم المسلمين والعياذ بالله، قمة الإغلاظ والقسوة فقالوا "أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" يس: 47، يبقى كان المشركين وصلوا لمرحلة إنو بيلقي شبهات على الدين لا يكتفي بالتكذيب، زي ما قلنا المرة اللي فاتت إن في تطور تكذيب قوم مؤمن آل يس أول حاجة قابلوا الرسل بالتكذيب، ثاني حاجة بدؤوا يقابلوا بيها الرسل إلقاء الشبهات، قلنا ديمًا أهل الباطل لما تيجي تدعوه أول حاجة يُكذب بعدين يفاجأ إنك بتنتشر وإن كلامك اللي هو كذبو ده بدأ يأثر في ناس ثانية، يقول لأ أنا لازم ألقي الشبهات، فأول حاجة هنا كَذِّبْ ثاني اللي هو زي ما ربنا قال "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ" يس: 46، رقم واحد الإعراض، رقم اثنين إلقاء الشبهات قالوا "أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" الشبهة دي وكأنهم قالوها مرة واحدة جيه معاها صيغة الماضي "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا" لكن الشبهة اللي كانوا ديمًا يكرروها وبل بصيغة المضارع "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" يس: 48، ودي من أخطر الشبهات اللي كان المشركين بيلقونها إنو يقولوا إنتوا عمالين تخوفونا عمالين تخوفونا طب فين العذاب ده؟ تخيل لما واحد يقف قدام الناس كلها، مشرك في مكة ويرفع إيدو ويقول "اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" الأنفال: 32، ومينزلش حجارة تخيل الشبهة اللي ممكن تقع في قلوب المستضعفين، وكأن هو بيقولهم عشان أأكد لكم إن هما كذابين طيب أنا هأقف وأقول أين الطير الأبابيل؟ "اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً" زي ما الطير ألقت حجارة طب فين الحجارة؟ فسنة ربنا سبحانه وتعالى إن الأصل إنو لا يعجل للأمة بالعذاب، الدنيا دار ابتلاء وخاصة بعد بعثة سيدنا موسى ونزول التوراة مفيش عذاب إهلاك كامل ممكن يجي عذاب مخصوص ممكن يخسف بأقوام مخصوصين وزي ما النبي صلى الله عليه وسلم قال :" بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف" رواه ابن ماجه وصححه الألباني، بين يدي الساعة ممكن يحصل مسخ ويحصل عقاب ينزل من السماء على بعض الناس، لكن

الإهلاك التام معدش حيحصل من بعد بعثة سيدنا موسى، بعد نزول التوراة من بعد إغراق فرعون، وإيتاء موسى عليه السلام الكتاب معدش في إهلاك عام سنة ربنا سبحانه وتعالى، هم يعارضون في هذه السنة يستعجلون العذاب لذلك كلمة "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" يس: 48، اتكررت أظن أربع مرات في القرآن وبنفس الصيغة صيغة المضارع وبيكلم إيه "إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ" طب لو أنت صادق طب فين الوعد؟ فكأن الشبهة دي اللي كانوا بيكرروها كثير، لما يصل إنسان إلى هذه الدرجة من القسوة والغفلة والبعد والاستهزاء والسخرية وإنو يكرر وخلاص معدش هيصدق حاجة غير العذاب خلاص إنت هنا بتكتفي معه ولا تتكلم معه، لذلك الآية اللي بعدها على طول دول مينفعش معاهم غير العذاب "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً..." دول مش هيفوقوا غير لما ينزل العذاب "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ..." وهم إيه؟ "وَهُمْ يَخِصِّمُونَ" يس: 49، يعني إيه يَخِصِّمون؟ يعني يختصمون طب يختصمون في إيه؟ وجت صيغة يَخِصِّمون مش يختصمون يعني يبالغون في الخصومة، قيل يختصمون في أمور الدنيا، يعني دول فضلوا مشغولين بالدنيا والبيع والشراء واللهو وهيفضل كدا لغاية لما ينزل عليه العذاب، كأن ربنا بيقول للنبي صلى الله عليه وسلم أُنْفُض يدك منهم دول "حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ" خلاص يعني لا تجد في صدرك ضيق منهم، أغلب هؤلاء طُبع على قلوبهم والعياذ بالله، فربنا بيقول هؤلاء "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" يعني لن يؤمنوا إلا إذا ذاقوا، ده شعار والعياذ بالله اليهود "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ..." حتى إيه؟ "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى" البقرة: 55، مش هؤمن بحاجة إلا لما إيه؟ إلا لما أشوفها بعيني، وكأن والعياذ بالله ده نزول بكرامة الإنسان وبعقل الإنسان إلى حالة كحالة الأنعام، الأنعام مبتصدقش غير لما تشوف، الأنعام لا ترى ما وراء اللي بتبصرو مبتتفكرش اللي وراء الطعام ده آخر الأنعام؛ الإنسان يؤمن بالغيب الإنسان الذي ينكر الغيب والعياذ بالله وكأنه ينزل لمرحلة أخس من الأنعام، لذلك أول صفة من صفات أهل الإيمان في القرآن في سورة البقرة "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" ولن يهتدي أحد بالقرآن إلا إذا آمن بالغيب "ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" البقرة: 2، 3، فالهدى جاء لمن يؤمن بالغيب، في ناس بتوصل لمرحلة إن مش هتصدق غير لما تشوف وإذا رأت العذاب لم ينفع الإيمان، خلاص مش هينفع الإيمان حين نزول العذاب لأن هو فين الابتلاء؟ الابتلاء إنك تؤمن قبل أن ترى فلو رأيت وآمنت خلاص لن ينفعك الإيمان، ملخص الابتلاء بتاعنا كلو أنك توقن في موعود الله ده ملخص، لذلك يروى في الآثار وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم اللي بيموت في الفترة مفيش رسل جولوه، أو الهَرِم الذي يعني وصل لمرحلة من الجنون، أو الأصم هؤلاء الذين لم تبلغهم النذارة حينما يبعثهم الله عز وجل ربنا يعملهم امتحان واحد بس، كأن ملخص امتحان البشرية كلو امتحان واحد، الله عز وجل يأمر عنقًا من النار فتخرج فيقول لهم ألقوا أنفسكم في النار، فالذي يوقن إن ده أمر من أوامر ربنا فيلقي نفسه في النار فتكون بردًا وسلامًا، الذي يخاف ولا يصدق أمر الله عز وجل هو الذي يعاقب، يبقى ملخص الامتحان كلو إنك تصدق الحاجة اللي يقول

عليها ربنا، مش لازم اللي أنت شايفها، لذلك أعظم فتنة فتنة الدجال أعظم فتنة فتنة الدجال اللي مش هيصدق غير اللي بيشوفو بس لا يؤمن بالغيب هيسقط في فتنة الدجال، لأن الدجال معه جنة ومعه نار فجنته نار وناره جنة، مش لازم تصدق باللي أنت شايفو، فهؤلاء يقول الله عنهم هيفضلوا كدا "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ..." وهم أيه؟ "وَهُمْ يَخِصِّمُونَ" وقيل يخصمون مش بس مشغولين بالدنيا، يبقى القول الأول في يخصمون أي يختصمون في أمور دنياهم هيفضلوا مشغولين في الدنيا لغاية لما يجي عليهم العذاب وهما مشغولين في الدنيا، وقيل يخصمون أي يجادلون أهل الإيمان بالشبهات زي الآية اللي قبلها "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ" الملك: 25، يعني في ناس هتفضل تجادل لغاية لما تموت، في واحد هيفضل يجادل في الدين ده، يعني لو فضل لغاية يوم القيامة هيفضل لغاية يوم القيامة وهو بيجادل والعياذ بالله، في ناس كده طُمس على قلوبهم وخُتم على قلوبهم وطُمس على أبصارهم هيفضلوا يجادلوا في الدين لغاية يوم القيامة، مش عايز يؤمن مهما رأى من آيات والعياذ بالله سيظل يجادل في دين الله عز وجل "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" قيل غالب المفسرين قالوا الصيحة الواحدة هنا يوم القيامة، وقال أيضًا بعض أهل العلم "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" إن هؤلاء قد ينزل عليهم عذاب دنيوي كما نزل على قوم مؤمن آل يس، لذلك نفس التعبير الصيحة الواحدة اللي نزل عليهم هناك "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" يس: 29، ونجد إن كلمة صيحة واحدة الكلمة دي تكررت ثلاث مرات في السورة سورة يس "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" يس: 29، وهنا "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" وبردو "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" وهذا يدل على قدرة الله عز وجل المطلقة إن هؤلاء المعاندين الذين يظنون أنهم يقفون أمام قدرة ربنا سبحانه وتعالى مجرد صيحة واحدة تهلكهم، هذه الكلمة كما أنها تخوف أهل الباطل، تسكب الطمأنينة في قلب أهل الإيمان يعرف إن الموضوع ده كلو يخلص بصيحة واحدة وأن الله عز وجل تركهم ابتلاء لنا ولهم "ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ" محمد: 4، يبقى المؤمنون هم يقاتلون لينصروا هذا الدين يوقنون إن كل جهد أهل الباطل ده ممكن ينتهي مش بنزول ملائكة وعقاب وحجارة من السماء لا لا، صيحة واحدة بس والموضوع يخلص، صيحة واحدة وكل القصة دي تخلص ودي النهاية هتبقى صيحة واحدة أيضًا، والبعث أيضًا هيكون بنفخة واحدة، فالكون كلو يتغير بنفخة واحدة من مخلوق من مخلوقات الله، شوف يقين أهل الإيمان، اللي يوقن بهذه العقائد، اللي المعلومات دي بتتحول عندو لعقائد بينطلق لينصر الدين وهو في قمة اليقين، يوقن أن هذا الكون يموت بأجمعه بنفخة ويُبعث بنفخة كل ما فيه "فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ" يس: 53، مفيش ولا واحد بيفلت، فيقول الله عز وجل "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً"، من المعاني التي لا بد أن يعيشها أهل الإيمان العاملين لنصرة دين الله في جو سورة يس، قلنا جو الإغلاق والظلمات، وطول الأمد على قوم لم يأتيهم نذير من قبل، من المعاني المهمة اليقين في قدرة الله، وأيضًا من المعاني التي لا بد أن ينقلها أهل الإيمان للناس اليقين في قدرة الله مطلقًا.

ملخص المعاني اللي في سورة يس اتلخص في آية واحدة وتكرر طول السورة تلخص في ختام السورة "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" يس: 83، لذلك كلمة إليه ترجعون اتكررت في السورة تلات أربع مرات، وأن المخلوقات بيده "فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ" الهيمنة زي "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ" الملك: 1، ولله المثل الأعلى بقول لك الموضوع ده بإيدي والباء للمصاحبة لا يفارقني، قدرة ربنا مطلقة في الكون إذا أراد شيئًا فعله سبحانه وتعالى، لذلك حتى لما ربنا قال إنو حملهم على الفلك قال إنو ممكن يغرقها في أي وقت "وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ" يس: 43، هذه المعاني المهمة تغيب عن الناس في أوقات الاستضعاف فيقول الله عز وجل إذا أخذتهم الصيحة، بعض المفسرين وإن كانوا قلة صراحة والإمام ابن عاشور ذكر المعنى ده قال "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" قيل صيحة الحرب في غزوة بدر، لإن الصيحة هنا مش العذاب الدنيوي، مش لازم يبقى إهلاك من السماء، ممكن يبقى تسليط الجنون المبين وإن كان ظاهره ضعيف يعني، فيقول الله عز وجل سيظلوا منشغلين بالدنيا، ويظلوا يجادلون أهل الإيمان ويلقوا الشبهات حتى تأخذهم الصيحة "فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ" يس: 50، يعني منظر واحد ويموت، ولو قلنا يَخِصِّمون أي يختصمون في الدنيا، قعد يجمع فلوس يجمع فلوس يجمع فلوس ولما مات ملحقش حتى يوصي بالفلوس مش ملحقش يتمتع ملحقش حتى يوصي بالفلوس تروح فين، "فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ" ولا يرجع لأهلو، ممكن الصيحة تاخذو وهو في السوق، ميعرفش يرجع يروح يخبرهم حتى إن هو مات ل فجأة يختفي عنهم، "وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ" فيقول الله عز وجل إنتوا عمالين تجادلوا في يوم القيامة، وده أسلوب القرآن لما اللي قدامك بيصل لمرحلة إنو بيجادل فقط حتى "إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ" الأنعام: 25، هو مش جاي يسمع هو جاي يجادل، لما بتوصل مع واحد للمرحلة دي إنت بتستعمل التخويف مش الإقناع، في شبهات في القرآن كان الرد عليها إقناع، في شبهات كان الرد عليها تخويف، يعني تخيل واحد بيقول "مَتَى هَذَا الْوَعْدُ" يس: 48، الآية اللي بعدها "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ" يس: 51 بعدها بآيتين، الموضوع خلص، يعني وكأن الجواب ما ترى دون ما تسمع، خليك اقعد اسأل لغاية لما القيامة تقوم، خليك اقعد جادل لغاية لما القيامة تقوم، إنت تجاوزت السؤال بتاعو، تجاوزت الشبهة إنك بتتكلم عن واقع، ده أسلوب القرآن، يتكلم بيقين عن واقع هم يجادلون فيه إنت بتتكلم إنو واقع، أتى أمر الله نفخ في الصور بصيغة الماضي كمان، الموضوع خلص والقيامة قامت وبدأ إجابة سؤال متى هذا الوعد مش إمتى ماذا سيحدث في هذا الوعد؟ يعني تحولت إجابة السؤال من إمتى إلى إيه اللي هيحصل؟ زي بالظبط متى الساعة قال ماذا أعددت لها؟ لما الأعرابي سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة؟ مجاوبوش سؤال هي هي جاية جاية، الفكرة إنت عملت إيه لهذا اليوم؟ ماذا أعددت لها؟ فهنا إجابة سؤال متى هذا الوعد؟ إلى أن الوعد قائم وماذا سيحدث فيه بقى؟ مش إمتى، "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ" يس: 51، بدأ تصوير لما سيحدث ليوم هم ينكرونه، شوف أسلوب القرآن زي ما قلنا لازم

يبقى الداعية عندو يقين، مش معنى إن هو بينكر حاجة إنك تفضل طول عمرك تثبتها لو لا إنت بتتجاوز بتجيب أدلة ثم تثبت، بعد ما اتكلم في إثبات يوم البعث تكلم عن ما سيحدث في يوم البعث، هو بداخله فطرة حتى لو أنكر قد تتغير قد تتبدل، خلاص لا تنشغل به في غيرو ممكن يؤمن، في مستضعفين منتظرين هذا الخطاب حتى يؤمنوا "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ"، المفاجأة إذا بيسموها الفجائية، "فَإِذَا هُمْ" هما هما هم اللي كانوا بيجادلوا من شوية " فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ..." القبر اللي طال عليه الأمد "مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ" الذي أعرضوا عن آياته "وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ" الأنعام: 4، خدوا بالكم من تناسق السورة "فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ" يس: 51، النسل والسير السريع المشي السريع لَمّا تقارن بين "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس: 20، وبين "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ..." يس: 38، وبين "إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ" تجد إن مؤمن آل يس اختار المشي السريع هو اللي اختار اختيارًا لنصرة دين الله، "وَالشَّمْسُ تَجْرِي" بتمشي مشي السريع لمستقر لتسجد بتسخيير من ربنا، هؤلاء اضطروا إلى هذا السير، يبقى في في السورة من سار بقلبه مسرعًا اختار ذلك اختار هذا الطريق "وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى" يس: 20، جاء يسعى "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ..." يس: 38، هنا المستقر هو السجود، سُخِّرَت لتجري، دول بيمشوا مسرعين، لكن اضطرارًا مش اختيارًا، فمن رفض ذلك في الدنيا أتاه غصبًا عنه في الآخرة، "فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ" يس: 51، أول ما بيقوم قالوا "مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا" دي مصيبة، يعني عامل زي واحد بتصحيه الصبح وأنت عمال تقولو في امتحانات يتريق عليك امتحانات إيه؟ إنتوا مجانين، إنتوا عايشين في الوهم، وبعدين فجأة بتصحيه لقى نفسه في صالة الامتحان فبيبص كده، ورق وامتحان أنا إيه اللي جابني هنا؟ من بعثنا؟ أنا إيه اللي... يا ريتني كنت فضلت في الغيبوبة اللي أنا عايش فيها "مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ" يس: 52، الأول كلمة مرقدنا العلماء اتكلموا فيها استغربوها لأن الآية بتقول "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ" دي النفخة الثانية، النفخة الأولى ماتوا، لو قلنا "مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً" دي اللي هتموتهم النفخة الأولى اللي هتموتهم، والنفخة الثانية اللي هتحييهم "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ" ما بينهم بعثوا فأول لما بعثوا قالوا من بعثنا من مرقدنا؟ كلمة مرقدنا تدل على نوم أو غفلة، فبعض العلماء قال إزاي؟ مش هما المفروض يعذبوا في القبر؟ يبقى إزاي يقولوا من مرقدنا؟ معايا في الإشكال علشان نجاوب عليه؟ بعض العلماء قال أجاب بعض آثار عن السلف وقال إن ما بين النفختين بيناموا نومة، وإن العذاب بين عذاب القبر بينتهي مع النفخة الأولى اللي الكل بيموت فيها والكل بقى بيفنى وإن في مخلوقات الكل بيفنى، ونفخة البعث يصحى فبيقول على الفترة اللي كان نايمها دي يا ريتني كنت فضلت كدة، أو يناموا نومة قبل النفخة، أو كلمة قالها الإمام ابن كثير وغيره من المفسرين أبو حيان وغيرو قال: ما يلاقونه من يوم القيامة ومن عذاب جهنم أشد كثيرًا من عذاب القبر، فكأن عذاب القبر بالنسبة لِما سيلاقونه زي النوم، فيتمنى أن يعود لعذاب القبر، وده مصداق الكافر لَمّا بيعذب، والمنافق لما بيعذب

في القبر ويفتح له باب إلى جهنم فيقول ربي إيه؟ ربي لا تُقِم الساعة، والمؤمن بينعم في القبر ويقول ربي إيه؟ طب إزاي المؤمن اللي بينعم يقول أقم الساعة؟ والكافر اللي بيعذب يقول لا تقم الساعة؟ المؤمن بيرى من النعيم في الجنة أعظم يعني بلا ما يحصى من المرات من اللي في القبر فمستعجل، الكافر لما رأى في جهم العذاب اللي منتظرو قال لا خليني كده أحسن والعياذ بالله ربي لا تقم الساعة.

فكأنّ "مَن بَعَثَنَا مِن مَرقَدِنَا" يس:52، اللي كنّا فيه بالنسبة للي إحنا رايحين له ده طلع نعيم، والعياذ بالله اللي بيلاقونه من عذاب القبر طلع نعيم.

"مَن بَعَثَنَا مِن مَرقَدِنَا" يس:52، برضه شوف طريقة القرآن، سؤال، إجابة مختلفة، متى هذا الوعد؟ "وَنُفِخَ فِي الصُّور" يس:51، ماقالوش إمتى. "مَن بَعَثَنَا مِن مَرقَدِنَا" يس:52، كان المتوقع الله، كثيرٌ من المفسرين قال: اللي قال كلمة "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمن وَصَدَقَ المرسَلُون" يس:52، إما المؤمنون أو الملائكة ردوا عليهم، زي بالضبط كده واحد مثلاً كان في امتحان أو صحى لقى نفسه في امتحان فقال: إيه اللي جبني هنا؟ فإنته ما بتقولوش اللي جابك هنا مثلاً تاكسي، ولّا بترد عليه بتقوله: ما إحنا قلنا لك مائة مرة وأنت اللي ما صدقتش، عرفت بقى إن كلامنا طلع صح؟ انتقل إلى التبكيت، يعني هو واحد فوجئ إنه في وضع فيه عذاب فانتقل هنا، بدل ما تجاوبه وتقوله أه إنته جيت هنا عن طريق البعث، ماتردش عليه..

لما قالوا "مَن بَعَثَنَا مِن مَرقَدِنَا" يس:52، الجواب: عرفتوا بقى إن كلام ربنا صح؟ وشوف خد بالك من تعبير القرآن "هَذَا ما وَعَدَ" يس:52، همّا كانوا من شوية بيقولوا متى إيه؟ "مَتَى هَذَا الوَعدُ" يس:48، فقيل لهم: عرفتوا بقى دلوقت إن الوعد طلع صدق؟ عشان كده "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمنُ وَصَدَقَ" يس:52، هما قالوا لهم "إِن كُنتُم صَادِقِين" يس:48، الجملة اللي كانوا بيكرروها "مَتَى هَذَا الوَعدُ إِن كنتُم" إيه ؟ "صَادِقِين" يس:48، فربنا قال لهم أو الملائكة بترد عليهم "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمنُ وَصَدَقَ المرسَلُون" يس:52،

واتقال كلمة المرسلون عشان تناسب السياق بتاعت مؤمن آل ياسين لما قال لهم "اتّبِعُوا المرسَلِين*اتّبِعُوا مَن لَا يَسأَلُكُم أَجرًا وَهُم مُهتَدُون" يس:21، فاتقال لهم: "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمَنُ وَصَدَقَ المرسَلُون" يس:52، عرفتم دلوقت إنهم بيتكلموا جد؟

تكرر كلمة الرحمن في الآيات

وخد بالك من كلمة "هَذَا مَا وَعَدَ" الإيه؟ "الرّحمن" يس:52، ليه الرحمن؟ في أول السورة لما جم الرسل قال لهم إيه "إنّا إليكُم مُرسَلُون" يس:14، قالوا "مَا أَنزَلَ الرّحمن مِن شَيءٍ" يس:15، لا يمكن الرحمن يقول إن فيه رسل وفيه عذاب لا يمكن ده أنتم المتشددون، فبيقول لهم: عرفتم بقى إن الرحمن بيبعث؟ عرفتم إن الرحمن هيعاقب؟ عرفتم إن الرحمن سيحاسب؟ الآن تعلمون؟ "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمن وَصَدَقَ المرسَلُون" يس:52، ..

وقيل إن اللي قال الكلام ده الكفار نفسهم، إنه أول ما بيصحى بيفاجأ بيقول: آه فعلاً كان عندهم حق الناس دي ما كانتش متشددة، الناس دي كانت بتتكلم بجد "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمنُ" وكلمة إيه؟ "وَصَدَقَ المرسَلُون" يس:52، عارف بقى، يا نهار أبيض ده طلع كلامهم صح ده طلع فيه جهنم لها سبعون ألف زمام، ده طلع فيه أنواع من العذاب ده طلع فيه خلود ده بتبقى مصيبة أشد حاجة على الإنسان والعياذ بالله إنه ينكر شيء مدى عمره فيموت، يبعث يفاجأ أن ما أنكره كان حقًا، زي مشهد كدا النصارى لما يقول الله عز وجل لعيسى "ءَأَنتَ قُلتَ للنّاسِ اتخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَينِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبحَانَكَ" المائدة:116، شوف بقى تخيل لما يسمعوا كلمة "سُبحَانَكَ" تخيل لما يسمعوا أول كلمة "سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلتُه فَقَد عَلِمتَهُ" المائدة:116، تخيل وهما بيسمعوا الحوار ده واحد قعد ستين سنة على ضلال ويسمع الكلام ده، تخيل المشهد، الصدمة، فهنا لما يصحى"هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمنُ" يس:52، الناس دي طلعت بتتكلم بجد "وَصَدَقَ المرسَلُون" يس:52، طلع الكلام عن آيات الجنة وآيات النار والبعث والعذاب والعقاب والملائكة والميزان والصراط الكلام ده كله طلع بجد ما طلعش تخويف ولا حاجة.. "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمن وَصَدَقَ المرسَلُونَ" يس:52.

القدرة الإلاهية والرجوع إلى الله

فيقول الله عز وجل أيضًا تكرار القدرة "إن كانت" إنتوا جيتوا هنا إزاي؟ "إِن كَانَت إِلّا صَيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُم جَمِيعٌ" يس:53، نفس المصطلحات اللي جات في التعقيب على قصة مؤمن آل ياسين "إِن كَانَت إِلّا صَيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَّدَينَا" يس:53، مفيش ولا واحد يفلت "لَدَينَا مُحضَرُونَ" يس:53، "إِن كُلٌّ لمّا جَمِيعٌ لَدَينَا مُحضَرُونَ" يس:29، نفس التعبيرات اللي جات في قصة مؤمن آل ياسين تتكرر.

وزي ما قلنا نفس المعنى اللي يختم بيه السورة "وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ" يبقى محور الكلام في السورة قدرة ربنا المطلقة مع العودة والرجوع إلى الله والسؤال على ذلك.

ما يبتدأ به الدعوة مع مجتمع طال عليه الأمد

ده البداية الطبيعية في مجتمع طال عليه الأمد بعيدًا عن النذارة والبشارة، إنك تبدأ تكلمه عن قدرة الله المطلقة وأنه سوف يرجع إلى الله عز وجل وأنه سوف يُحضر "فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَدَينَا مُحضَرُون" يس:53، يكلمنا، يتعمل له محضر، يعني هيجي غضب عنه، فيحضر أي سيؤتى به غضب عنه، سيحضر غضب عنه، وسيتسأل غضب عنه "فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَدَينَا مُحضَرُون" يس:53، فيقول الله عز وجل "فَاليَومَ لَا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا وَلَا تُجزَونَ إِلّا مَا كُنتُم تَعمَلُونَ" يس:54، مفيش ولا نفس ستظلم يوم الحساب يوم القيامة، الكل سوف يحاسب على النقير والقطمير، الكل كان مكتوب، كل حاجة كانت مكتوبة، فاليوم، من المعاني والألفاظ اللي تكررت أيضًا في السورة كلمة "اليوم" لأن هذا اليوم هو الذي كانوا ينكرونه، يبقى فيه مصطلحات عمالة تتكرر معانا في السورة. كلمة "صيحةً واحدةً" (الرجوع إلى الله) ؛ (قدرة ربنا المطلقة) "اليوم" يعني لما تيجي تشوف كلمة ..

حتى بس في مقطع زي بتاع النهاردة تلاقي ثلاث أربع مرات كلمة "اليوم" تتكرر، "فَاليَومَ لَا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا" يس:54، "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ" يس:55،"وَامتَازُوا اليَومَ" يس:59، بتلاقي بتتكرر "اصلَوهَا اليَوم" يس:64، أربع مرات، لأن هذا اليوم هو الذي ينكرونه، شوف القرآن تجاوز الرد عن إمتى هذا اليوم؟ إلى ما سيحدث في هذا اليوم، "فَاليَومَ لَا تُظلَمُ نَفسٌ شيئًا وَلَا تُجزَونَ إِلّا مَا كُنتُم تَعمَلُون" يس:54.

مشهد البعث

ثم يقول الله عز وجل.. مشهد البعث والخروج من الأجداث إلى ربهم بيجروا بسرعة ينسلون ولما يقوموا يقولوا "مَن بَعَثَنَا مِن مَرقَدِنَا" يس:52، لو قلنا إن الملائكة اللي ردت عليهم أو الكفار اللي جاوبوا على نفسهم "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمَن" يس:52،

وما حال المؤمنين في هذا المشهد ؟

ممكن إنسان يتساءل، في وسط القلق ده كله والفزع ده كله والصيحة والبعث، أمال المؤمنين فين؟ فيجي لك "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ" يس:55، هما ملبوخين في حاجة تانية خالص " فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ" بيتفكهوا، فرحانين، مبسوطين، يأكلون الفاكهة، يأكلون تلذذًا أو متنعمين روحيًا وبدنيًا، نفس المشهد اللي جه في الصورة،

إحنا قلنا القرآن في سورة ياسين لما قتلوه لما قال "اتّبِعُوا مَن لَا يَسأَلُكُم أَجرًا" يس:21، "وَمَالِيَ لَا أَعبُدُ الّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ" يس:22، فلما قتلوه جات على طول بعدها إيه "قِيلَ ادخُلِ الجنّة" يس:26، ماقالش فعذبوه فقتلوه فمات فدخل الجنة، كل الحاجات دي اختصرت وجه مشهد النعيم على طول، عشان الإنسان اللي عايز ينصر دين ربنا، ما يفكرش في الفترة دي كثير، لأن التفكير في الفترة دي أولًا: المؤمن الموقن المبتلى لا يشعر بها، الله عز وجل ينزل عليه بردًا وسلامًا، وهي لحظات خاطفة من البلاء ما بين وسط نعيمين وسط إعلان الإيمان والتنعم في الجنان لا يشعر بها المؤمن، فأيضًا وكأن لحظة البعث والفزع كأنها مش موجودة عند أهل الإيمان، كأنهم على طول دخلوا الجنة "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ" يس:55، طب ماهما بيمروا بنفس المراحل دي وكأنهم دخلوا في انشغالهم بالتنعم مباشرةً، من لحظة الموت إلى التنعم كما كانوا في شغلٍ لنصرة الدين، يسعون لنصرة الدين "وَجَاءَ مِن أَقصَا المدِينَةِ رَجُلٌ يَسعَى" يس:20، كما كان في شغلٍ كل ما تكلموا مشغول ينصر دين ربنا فهم اليوم في شغلٍ أيضًا متنعمين..

معنى لطيف

وأيضًا فيه معنًى لطيف هنا يزيد الكفار حسرةً، مؤمن آل ياسين أول ما اتقتل قال إيه"قَالَ يَالَيتَ" إيه؟"قَومِي يَعلَمُونَ" يس:26، مشغولٌ بقومه، هنا بقى ربنا بيقول لهم هما بقى في الجنة مش مشغولين بكم، كما قال كثيرٌ من أهل العلم"إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ" يس:55، أي: في شغلٍ عن السؤال عنكم، محدش هيسأل عنكم، لما

مؤمن آل ياسين قال"يَالَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ" يس:26، لأنهم كانوا لسه في الدنيا عندهم فرصة التوبة، دلوقت بعد البعث، محدش هيعبركم، محدش هيسأل فيكم "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ" يس:55، محدش فاضي لكم، قد يأتي التساؤل من أهل الكفار؛ طب فين أهل الإيمان ده أنا كنت أعرف واحد صاحبي مؤمن، طب ممكن نكلمه، طب ممكن نسأل عنه، يتقال له إيه "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ" يس:55..

مما يزيد الحسرة على الكفار يوم البعث

ويزيد الكلام حسرةً قيل إن كلمة "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ" يس:55، من خطاب الله للكفار، يعني ربنا بيقول للكفار لما يبعثوا "هَذَا مَا وَعَدَ الرّحمَن وَصَدَقَ المرسَلُونَ" يس:52، فيتقال لهم ربنا يقول لهم "إِن كَانَت إِلّا صَيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُم جَمِيعٌ لَدَينَا مُحضَرُونَ*فَاليَومَ لَاتُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا وَلَا تُجزَونَ _تاء الخطاب_إِلّا مَا كُنتُم تَعمَلُونَ" يس:54، ويقول الله لهم زيادة في الحسرة عليهم "إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ" يس:55، أنتم قاعدين بتتعذبوا وأهل الجنة قاعدين بيتنعموا دلوقت، محدش هيعبركم.

"هُم وَأَزوَاجُهُم" يس:56، مش لوحدهم كمان، ده قمة النعيم، سواءًا الحور العين أو من صلح من أزواجهم، وده من رحمة ربنا إن ربنا يلحق الزوجة.. لو الزوج هو اللي سابق أو الزوجة هي اللي سابقة، ربنا يلحق الآخر به في درجات الجنة، ويرفعهم حتى يتنعموا مع بعضهم البعض "هُم وَأَزوَاجُهُم" يس:56، لذلك بعض العلماء قال:"إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ" يس:55، أي في شغلٍ مع الزوجة عارف يقول لك بص ليلة الدخلة محدش يكلمني، أنا مشغول، محدش يتصل علي، أنا هقفل الموبايل ومحدش يكلمني خالص، فهو"إِنَّ أَصحَابَ الجَنّةِ اليَومَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ*هُم وَأَزوَاجُهُم" يس:55، 56، لما كانوا تعبانين وبيجروا يسعوا "وَجَاءَ مِن أَقصَا المدِينَةِ رَجُلٌ يَسعَى" يس:20، الآن هم في ظلال، لما كان بيسعى هنا متكيء.

من الأمور التي تعين على فهم آيات الجنة والنار

إحنا قلنا من أهم الأشياء اللي بتساعدك على فهم آيات الجنة أو آيات النار في القرآن، دراسة سياق السورة، وإن آيات الجنة هنا، ليها علاقة بالسياق، وإنك عمرك ما تشعر بنعيم الجنة اللي يقال إلا إذا عشت البذل اللي بذلوه هم، لما ربنا يقول "أَلحَقنَا بِهِم ذُرِّيَتَهُم" الطور:21، وإنه يذكر نعيم التجمع مع الأهل في الجنة، يحسّ بيها الصحابي اللي ساب زوجته وابنه وهاجر، وزوجته راحت في ناحية وابنه راح في ناحية، يحس الصحابي بنعيم الغرف في الجنة اللي ساب بيته وماكانش له سكن، يشعر بالنعيم اللي ذاق التعب في الدنيا، يشعر بآيات النعيم ويتمناها، إنما اللي مابذلش عشان الدين، وما عاش المعاني دي، ما يشعرش بقيمة هذا النعيم، فكأنوا بيسمع عادي، بيسمع كلام عادي، فلما ربنا يقول"هُم وَأَزوَاجُهُم فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئِينَ" يس:56، كان تعبان، بذل في الدنيا، فيذكره الله عز وجل بالنعيم، والجزاء من جنس العمل.

لهم فيها فاكهة..

"لَهُم فِيهَا فَاكِهَةٌ" يس:57، قالوا معنى فاكهة: لأن الأكل للتلذذ، يعني بيقول له أنت وظيفتك هنا إنك تتنعم بس"لَهُم فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ" يس:57، قالوا يدّعون يعني إيه: قالوا يتمنون أو يطلبون إما يتمنى في نفسه أو يطلب بلسانه، والجمال إن الكلمة تحتمل الاثنين، يعني فيه طلبات في الجنة إنته عايزها، أنا عايز مثلاً عصير كذا، أو أكل كذا، فتعرف تطلبه، فيه نعيم إنته ممكن بتبقى عايزه ومش هتعرف تعبر عنه، إنته لسه بس بيجول في خاطرك فتلاقيه قدامك، ربنا يرزقنا الجنة، عارف اللي يقول لك: أنا عايز أشرب حاجة كدا ولسه إنته ما عبرتش، عارف لما مثلاً تأكل أكلة تقيلة كدا وتقول أنا عايز أشرب مثلاً.. نجيب لك إيه يعني مش عارف حاجة كده.. تلاقي الحاجة دي عندك، الحاجة اللي إنته مش عارف توصفها دي، تلاقيها قدامك في الجنة، رغباتك اللي بتجول في خاطرك تأتيك في الجنة، ده من جمال كلمة "يَدَّعُونَ".

من معاني كلمة "يدعون" ..

ومن جمال أيضًا هذه الكلمة من روائع ما قيل في تفسير الكلمة دي إيه، اقرأ كده الآية "لَهُم فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ*سَلَامٌ قَولاً مِن رَبٍّ رَحِيمٍ" يس:57،58، بعضهم ربطها باللي بعدها، قال: أي كانوا يتمنون أنّ الله عز وجل يسلم عليهم، ده كان كل أمنيتهم، فبعد ما يتلذذ وتأتيه الفاكهة، تظل الأمنية بداخله، فيسلم الله عليهم، ويرى وجه الله عز وجل لأن قالوا "سَلَامٌ قَولاً مِن رَبٍّ رَحِيمٍ" يس:58، أن الله يسلم على أهل الجنة، تخيل بقى اللحظة دي، لما يكشف الحجاب، ويسلم الله على أهل الجنة، ربنا يرزقنا يا رب، تخيل هذه اللحظة، ناس تعبت عشان ربنا، فبتلاقي ذلك، جاء من أقصا المدينة عشان دين ربنا، فهيلاقي ذلك، بذل لأجل دين الله جادل ودافع عن هذا الدين، فسوف يلاقي ثمرة ذلك، فقال الله عز وجل "لَهُم فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ*سَلَامٌ" يس:57،58 يتمنون السلام من الله، فيحل الله عز وجل عليهم رضوانه، فلا يسخطون أبدًا، ويكشف الحجاب وينظرون إلى وجه الله تبارك وتعالى، يبقى قلنا "وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ" إما الفاكهة اللي طلبوها وما "يَدَّعُونَ" أي وما يتمنونه في نفوسهم ولا يستطيعون أن يعبروا عنه، أو "وَلَهُم مَا يَدَّعُونَ" يتمنون لقاء الله عز وجل، لما حد يقرأ قول الله عز وجل "تَحِيَّتُهُم يَومَ يَلقَونَهُ سَلَامٌ" الأحزاب:44، يعني كلمة "يَلقَونَهُ" معقول الهاء دي تعود على لفظ الجلالة الله! يعني معقول هتيجي اللحظة دي وتلقى الله، ويسلم الله عليك! فاللي عاش ينتظر اللحظة دي لا ينظر إلى الابتلاءات، ما يعيش مع الابتلاءات، لأن قلنا جو السورة جو ابتلاءات لنصرة الدين، ما يمكث فيها، لا ينظر إليها، زي ما ربنا خلق الجنة وحفها بالمكاره وقال يا جبريل _أول ما خلق الجنة_ اذهب وانظر إلى الجنة فقال: يا رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا ويدخلها، فلما حفّها بالمكاره، قال: والله يا رب لقد خشيت ألا يدخلها أحد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لمَّا خلقَ اللَّهُ الجنَّةَ والنَّارَ أرسلَ جِبريلَ إلى الجنَّةِ ، فقالَ : انظُر إليها وإلى ما أعدَدتُ لأَهْلِها فيها . فنظرَ إليها فرجَعَ ، فقالَ : وعزَّتِكَ لا يسمَعُ بِها أحدٌ إلَّا دَخلَها . فأمرَ بِها فحُفَّتْ بالمَكارِهِ ،

فقالَ : اذهَب إليها فانظُر إليها وإلى ما أعددتُ لأَهْلِها فيها . فنَظرَ إليها ، فإذا هيَ قد حُفَّت بالمَكارِهِ ، فقالَ : وعزَّتِكَ لقد خَشيتُ أن لا يدخُلَها أحدٌ". صحيح النسائي

لا تنظر إلى المكاره وانظر إلى الجنة

لا تنظر إلى المكاره وانظر إلى الجنة، تستطيع السير إلى الجنة، هتنشغل بالمكاره، مش هتكمل، هتنشغل بالجنة، ستعبر ذلك، هتعبر هذه المكاره. "سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ" يس:58، أي يسلم الله عز وجل عليهم، وهذا السلام حقيقي يقوله الله قولاً، قولاً من ربٍّ رحيمٍ، وعجبًا لأقوامٍ فعلاً ينكرون صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، عايشين إزاي دول! طب مش منتظرين اللحظة دي! يعني حتى بعيدًا عن الخلاف العقدي وإن كان ده ضلال مبين، الفِرَق اللي بتنكر رؤية وجه الله أو تنكر كلام الله عز وجل، إزاي طب يعني! ده قمة النعيم إن الإنسان عايش عشان ينتظر إنه يرى وجه الله عز وجل، تخيل لما هو يحرمك من ده بطريقة تفكيره! فـ"سَلامٌ قَوْلاً" يقوله الله عز وجل ذلك، وما قال الله لهم ذلك إلا لأنه ربٌّ رحيمٌ، فما بلغوا إلى ذلك إلا برحمته لا بعملهم. لذلك لما مؤمن آل ياسين بعد كل اللي عملوا قال "يَالَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ*بِمَا" إيه؟ أول حاجة "بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي" يس:26، مش بقيمة المجهود اللي أنا عملته "بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي" فهنا يسلم الله عليهم لماذا؟ لأنه رحيمٌ سبحانه وتعالى، ويعلم أنهم يحتاجون إلى سلامٍ منه وأنه لن تكمل سعادتهم إلا بسلامٍ منه عليهم، وأن من كمال تربيته لهم، والربوبية أن يسلم عليهم، فجاءت"سَلامٌ قَوْلاً" من إيه؟ "مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ" سبحانه وتعالى ..

تخيل المشهد تاني..

الكفار بيقولوا "مَتَى هَذَا الوَعدُ" يس:48، فجأة السياق"نُفِخَ فِي الصُّورِ" يس:51، دخلوا في الوعد، قاموا من الأجداث، قالوا إيه اللي حصل! ربنا قال لهم إن اللي حصل كانت صيحةً واحدةً وهتحاسبوا على اللي إنتوا عملتوه، طب فين المؤمنين اللي كنا بنسخر منهم، قال لهم: دول مش فاضيين "فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ" يس:55، وتعالوا إنتوا بقى في جنب "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" يس:59..

وامتازوا اليوم..

تعالوا كده ابعدوا عن المؤمنين، تعالوا "امتَازُوا" انفصلوا. "تَكَادُ تَمَيَّزُ" الملك:8، تكاد تتقطع وتنفصل من الغيظ، التمييز يحصل فصل "مَاكَانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُم عَلَيهِ حَتَى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ" آل:179، يحصل تمايز، فيحصل فصل كده، عارف ولله المثل الأعلى كده، عشان المؤمنين ما يتوسخوش، تعالوا ابعدوا عنهم كده، تعالوا المجرمين في جنب كده بعيد، فيجوا في جنب كده "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" يس:59، والخطاب لأئمة الكفر المجرمين اللي كانوا بيصدوا الناس عن الدين، كانوا بيلقوا الشبهات "امتَازُوا" أي انفصلوا عن أهل الإيمان، ابتعدوا عنهم، فلن تنالوا سعادتهم "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" وقيل: "امتَازُوا اليَومَ" إن كل مجرم هيتفصل لوحده ويتعاقب عقاب لوحده، كما أن من نعيم أهل الجنة "هُم وَأَزوَاجُهُم" من عقاب أهل النار إنهم فرادى، كل واحد في

غرفة يتعذب لوحده، عذاب انفرادي. قيل "وَامتَازُوا" وإن كان ده قول ضعيف: يتقطعوا حسرة، زي "تَمَيَّزُ" تتقطع. "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" يس:59، وقالوا: أن هذا غرض قرآني، التمايز بين أهل الإيمان وأهل الإجرام. هذا يفعله الله عز وجل بقدرته في الآخرة، وهذا مطلوب منا في الدنيا.

مرة أخرى..

فيه حاجات ربنا بيعملها يسخر بالقدرة، وفيه حاجات من مراد الله لكن أراد أن أهل الإيمان هم الذين يفعلون ذلك، ولو يشاء لفعل "وَلَو يَشَاءُ الله لانتَصَرَ مِنهُم" محمد:4، ربنا لو أراد إنه يفصل المجرمين عن المسلمين في الدنيا هيعمل، لو أراد إنه يجعل لكل منافق علامة "وَلَو نَشَاءُ لَأَرَينَاكَهُم فَلَعَرَفتَهُم" بإيه؟ "بِسِيمَاهُم" محمد:30، من معانيها: لو أراد الله أن يجعل لكل منافق علامة مميزة كان عمل، تلاقيه ماشي في الشارع كده مكتوب عليه منافق والناس تبقى عارفاه، المنافق أهو، المنافق جه، المنافق راح، المنافق أهو، معروفين وتلاقي العيال الصغيرة إلحق يا عمو المنافق أهو، يبقوا معروفين..

الله عز وجل لو أراد ذلك لفعل، لكن أراد إن هذا التمايز يحدث بقوة أهل الإيمان، زي ما في سورة الفرقان كده ربنا جعل بينهما حجرًا محجورًا كده، بين النهر والبحر حط حاجز وفصل ما بينهم عمل فرقان بين النهر والبحر مع إن ظاهرهم الاختلاط، فالله بقدرته جعل هذا الحاجز، ففي سورة الفرقان ربنا بيقول لك أنا قادر إني أعمل الفرقان في الدنيا كده بين أهل الإيمان وأهل الكفار لكن ده دوركم إنتوا "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" يس:59، هذا غرض مقصد شرعي أن يحدث تمايز، هذا التمايز يقوم به العلماء من توضيح للدين فيظهر المنافقون على حقيقتهم، ليه؟ لما أهل الإيمان يقولوا: يقول الله كذا وكذا ويوضحون الحق، فيجد الناس إن فيه طائفة بتعمل عكس كلام ربنا فيقولوا إيه ده؟ الناس دي بتعمل العكس، يبقى الناس دي منافقة، زي ما الله يقول "رَأَيتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ" محمد:20، ؛ "رَأَيتَ المنَافِقِينَ" النساء:61، ؛ "رَأَيتَ" ..

ربنا بيقول إن إنتوا لو طبقتوا الدين صح هتشوفوا المنافقين بعينكم، لإنك هتلاقيه بيخالف ده، مالم يقم العلماء بذلك يأتي البلاء تيجي بقى ابتلاءات تفصل، فما لم يقم به العلماء يقوم به البلاء، تيجي ابتلاءات تفصل بقى ما بين الصادق والمنافق. فيقول الله عز وجل نرجع للآيات "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" يس:59، تعالوا بقى هتتعاقبوا، والعياذ بالله التبكيت قبل العقاب "وَامتَازُوا اليَومَ أَيُّهَا المجرِمُونَ" ثم يقول الله لهم بعد أن بكتهم وحسّرهم أن أهل الجنة ينعمون فيقول الله لهم "أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يَا بَنِي آدمَ أَلَّا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُو مُبِينٌ*وَأَنِ اعبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُستَقِيمٌ*وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَم تَكُونُوا تَعقِلُونَ" يس:60،61.

العهد وصل إلينا بالفطرة والرسل

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الله عز وجل "أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يَا بَنِي آدمَ أَلَّا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُو مُبِينٌ*وَأَنِ اعبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ

مَستَقِيمٌ*وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَم تَكُونُوا تَعقِلُونَ*هَذِهِ جَهَنَّمُ التِّي كُنتُم تُوعَدُونَ" يس:60،..63، اللي إنتم كنتم بتنكروها، وبتقولوا متى هذا الوعد، وتيجي اسم الإشارة هذه للقريب، هما أمام جهنم الآن مباشرةً يعاتبون قبل الإلقاء في جهنم والعياذ بالله، فيقول الله عز وجل "أَلَم أَعهَد إِلَيكُم" هذا العهد وصل إليكم بالفطرة وبالرسل، ربنا أرسل رُسُل، ووَحي، تكلم بالوحي سبحانه وتعالى وأرسل به الرسل وفيه فطرة، يقولك دائمًا العهد أو الميثاق يفسر إما بكلام الله، بالكتاب، سواء التوراة أو الإنجيل أو القرآن _الكتاب_ الوحي يعني، أو ما يجدونه في فِطَرِهم، الفطرة. الاتنين دول، ده العهد. ألم يأتك قرآنًا يوافق مافي فطرتك "أَلَم أَعهَد إِلَيكُم يَا بَنِي آدمَ" يس:60، وإن فيه فطرة مركوزة في كل الخلق، من أول آدم إلى أن تقوم الساعة، "يَا بَنِي آدمَ أَلَّا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ" يس:60..

وهل يُعبَدُ الشيطان ؟!

طب دول ماكانوش بيعبدوا الشيطان، يعني ما كانوش عاملين تمثال للشيطان وبيسجدوا للشيطان، فالقضية إن كل من لم يعبد الله عز وجل عبد الشيطان، هما طريقين حتى لو الظاهر غير كده، يعني طرق عبادة الشيطان مختلفة، الكفر عبادة للشيطان، الشرك عبادة للشيطان، الإلحاد عبادة للشيطان، كل ده عبادة للشيطان، لكن الشيطان بيدخل بمسالك مختلفة لكل واحد، قال "الحَمدُ لله الذِّي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور" الأنعام:1، دائمًا الظلمات جمع والنور مفرد في القرآن، لأن الظلمات كثير، طرق الإغواء كثير "وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ" الأنعام:153، كنا قلنا في آخر الأنعام "تَفَرَّقَ بِكُم" يعني الطريق بِحودِ بيك وإنته مش واخد بالك، دي مش بتفرقكم عن سبيله "فَتَفَرَّقَ بِكُم" يعني الطريق يأخذك ويلف وإنته مش واخد بالك، فكلمة "أَلَّا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ" إن ما يشترطش لعبادة الشيطان إن يعملوا تمثال لإبليس ويسجدوا له، لأ، كل من ترك عبادة الله فهو يعبد الشيطان..

الشيطان عدو "مبين"!

"إِنَّهُ لَكُم عَدُو مُبِينٌ" يس:60، واضح.. وده رد على اللي كانوا بيقولوه لما قالوا الشبهة "أَنُطعِمُ مَن لَو يَشَاءُ الله أَطعَمَهُ" يس:47، بيقولوا للمؤمنين "إِن أَنتُم إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" يس:47، ده على قول إن اللي قال الكلام ده كفار. تخيل الكافر لما يلقي شبهة على أهل الإيمان بيقول للمؤمنين ده إنتوا ضلالكم واضح، بيتكلم على أهل الإيمان، فيقول الله عز وجل غواية الشيطان واضحةٌ، وكل من سار في طريق الشيطان عوقب وعلم يقينًا أن الشيطان لا يدل على خير، من لحظة ما قال لآدم عليه السلام "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ" الأعراف:21، كل اللي بيمشي في طريق الشيطان عارف إنه بيضحك عليه "إِنَّهُ لَكُم عَدُو مُبِينٌ" "وَأَنِ اعبُدُونِي" يبقى "لَا تَعبُدُوا" و "أَنِ اعبُدُونِي"هو ده التوحيد، لا إله إلا الله، مش اعبدوني بس، يعني اعبدوني.. ممكن اعبدوني واعبدوا غيري، لكن لأ، لذلك قلنا شهادة التوحيد مش الله إله، وهذا حقٌّ أن الله إله، لكن لا إله إلا الله "فَمَن يَكفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤمِن بِالله" البقرة:256، ده الركنين، مش بس الكلام عن الله، الكلام عن الله وأنه الواحد الأحد، مش الكلام عن الشرع، لأ الكلام عن الشرع وإن مفيش غير ده اللي ينفع، وإن غيره شرك، هو ده لا إله إلا الله "أَلَا تَعبُدُوا" و"أَنِ اعبُدُونِي"

"أَلَا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ" "وأَن اعبُدُونِي" يس:61، هو ده الصراط المستقيم، يبقى جزء منه ناقص، الصراط المستقيم، اللي بيصل بالإنسان إلى الحق، اللي بتطلبه يوميًا "اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ" هو ملخص في لا إله إلا الله "أَلَا تَعبُدُوا الشَّيطَانَ" "وَأَن اعبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُستَقِيمٌ" يس:61،

معنى جبلا كثيرا

ثم يقول الله عز وجل بلام التأكيد "وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" يس:62، الشيطان نجح بإغواء إنه يضحك على الناس، تخيل فيه ناس بتعبد الفيران، ناس تعبد البقر، ناس تعبد الشمس، ناس تقول مفيش إله والكون ده جه صدفه، لما بتقرأ في أقوال هؤلاء إنته بتتعجب إزاي وصلوا للمستنقع ده، الحمد لله على نعمة الإيمان، الحمد لله على الإسلام، إزاي وصلوا لده! "لَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" يس:62، يعني إيه "جِبِلًّا كَثِيرًا"؟ قيل "جِبِلًّا كَثِيرًا" بمعنى خلقًا كثيرًا، طب ليه ربنا قال"جِبِلًّا كَثِيرًا" وما قالش خلقًا كثيرًا؟ العلماء هنا، وعشان تتعلم إن كل لفظة قرآنية لها دلالة، مفيش كلمة بتيجي كده اعتباطًا. قالوا "جِبِلًّا كَثِيرًا" الجِبِل أصلاً هو الخلق الكثير، فجبلاً كثيرًا يعني خلقًا كثيرًا جدًا، لو كان قال خلق كثير بس ما كانش أدت نفس المعنى. طب ليه "جِبِلًّا"؟ بعض العلماء اختلفوا، وده التنوع ده.. القرآن حمال أوجه وفياض بالمعاني. بعض العلماء قال جِبِل بمعنى: ده واحد بيقول لك ده جُبِل على شيء أو فُطِر على شيء، وقالوا دي جاية من الجبل فقالوا بمعنى جِبلا: أي فطرًا كثيرةً كانت مستقرة. يعني كأن ربنا بيقول لهم "وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" يس:62، يعني أنا جبلتكم على فطرة والشيطان اجتالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"قالُ اللَّهُ تعالى : إنِّي خلَقتُ عبادي حُنفاءَ فاجتالَتْهمُ الشَّياطينُ" صحيح

اجتيال الشياطين

جاءت الشياطين فاجتالتهم، الشيطان بيغير فطرتك، حتى لا تتوائم مع الشرع، فتستنكر الشرع، المفروض لو فطرتك سليمة يجي الشرع يحصل تلاقي، أه إنما لما الفطرة تنتكس، الإنسان ممكن والعياذ بالله يصل لدرجة إنه يشمئز من الشرع "وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحدَهُ اشمَئَزّت قُلُوبُ الذِّينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ" الزمر:45،. فكلمة "وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" يس:62، أي انتكست فطرتكم بعد أن استقرت زمانًا، يعني ممكن واحد يفضل فطرته سليمة فترة طويلة وبعدين ينتكس والعياذ بالله.

وقيل "جِبِلًّا كَثِيرًا": برضه من معنى الجبل والثبات، قيل: عقولاً قويةً مستقرةً كالجبل، إزاي الشيطان قدر يلعب بهذه العقول، لذلك لما ابن القيم كان بيتكلم يناقش بعض المسائل والشبهات العقدية فبيقول: وتعظم البلية حينما يكون أذكياء العالم من الزنادقة، وده كان حاصل عنده وحاصل دلوقت، إن كثيرًا من الأذكياء زنادقة، كفار، غير مسلمين، ملحدين، يقول: بتعظم البلية على أهل الإيمان ساعتها. لذلك حتى الإمام الذهبي كان له كلمة بيقول: لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي عن البلادة مع التقوى، يعني ممكن الذكاء يضيّع واحد "وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" يس:62، إزاي هذه العقول سمعت كلام الشيطان، إنته ممكن تتعجب، عقول مبهرة وتلاقيه بيعبد الشيطان، وهي العقول اللي اكتشفت في الفراعنة، اكتشفت اكتشافات الدنيا كلها بتتعلم منها وفي الآخر فرعون يضحك عليهم

بكلمتين، طب إزاي العقول دي اتضحك عليها بالكلمتين دول؟! إزاي! يقول لهم "أَلَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ وَهَذِهِ الأَنهَارُ تَجرِي مِن تَحتِي" الزخرف:51، مامعناه أساور ذهب وأنا معايا ذهب، إيه الكلام الفارغ ده! تجي آيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، إزاي هذه العقول اللي اخترعت واكتشفت إزاي يضحك عليها! "أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" يس:62،

وقيل جِبلاً: بمعنى تاني كان ذكره بعض أهل اللغة قالوا: جاية من كلمة الجبل والقسوة والغلظة، أي أن قسوة القلوب والغلظة هي اللي خلتكم تسمعوا كلام الشيطان، وده يناسب الآيات اللي جات في السورة، قسوة القلوب خلتهم يقتلوا مؤمن آل ياسين اللي كان رحيم بيهم، قسوة القلوب خلتهم ما يطعموش الفقراء "أَنُطعِمُ مَن لَو يَشَاءُ اللهُ أَطعَمَهُ" يس:47، إن القلب القاسي بعيدٌ عن الله سبحانه وتعالى، القلب الغليظ أسهل إن الشيطان يضله، ف"أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا" أي قلوبٌ غليظةٌ كانت عندها غلظة على أهل الإيمان بل تقتل أهل الإيمان، ولا ترحم أهل الإيمان ولا حتى تريد أن تستمع إلى المواعظ، هذه القلوب الغليظة يسهل على الشيطان أن يضلها، فقال الله عز وجل "وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَم تَكُونُوا تَعقِلُونَ" يس:62، يعني ألاعيب الشيطان ضد العقل، العاقل اللي بيفكر يبعد عن الشيطان "أَفَلَم تَكُونُوا تَعقِلُونَ" ثم يقول الله عز وجل: "هَذِهِ جَهَنَّمُ" هذه اسمٌ للقريب هما خلاص واقفين على شفير جهنم "هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ*اصلَوهَا" يس:63، يصلى الشيء يعني يقاسي الحر ويدخل فيه "اصلَوهَا اليَومَ" دي للمرة الرابعة اللي تيجي كلمة اليوم دلوقت "اصلَوهَا اليَومَ بِمَا كُنتُم تَكفُرُونَ" يس:64، المرة الخامسة "اليوم" مش هيدافع عن نفسه "اليَومَ نَختِمُ عَلَى أَفوَاهِهِم" يس:65، طول السورة عمال يقول شبهات ويقولون بصيغة المضارع "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعدُ" يس:48،"اليَومَ نَختِمُ عَلَى أَفوَاهِهِم وَتُكَلِّمُنَا أَيدِيهِم وَتَشهَدُ أَرجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ" يس:65، يوم القيامة زي ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعض الناس تقول يا رب أنت حرمت الظلم على نفسك وأنا لا أجيز إلا شاهدًا من نفسي، نص الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافق (يقول: يا ربِّ ! ألم تُجِرْني من الظلمِ؟ قال يقول: بلى . قال فيقول: فإني لا أُجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مني. قال فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا. وبالكرامِ الكاتبين شهودًا. قال فيختُم على فيه. فيقال لأركانِه: انطِقي. قال فتنطق بأعمالِه. قال ثم يُخلّى بينه وبين الكلامِ. قال فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسُحقًا. فعنكنَّ كنتُ أناضلُ ." صحيح مسلم

أنا عايز بقى، مفيش ظلم، أنا عايز أنا اللي أشهد على نفسي، فيختم الله على فِيهِ والعياذ بالله، وتنطق الجوارح فتتكلم اليد وتشهد الأرجل بما حدث "بِمَا كَانُوا يَكسِبُونَ" يس:65، ربنا يسترنا يا رب، "أما المؤمن فيستره الله عز وجل ويدني عليه كنفه ويقرره بذنوبه فيقول المؤمن: أي رب أعرف أي رب أعرف، فيستره الله عز وجل ويقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن اللهَ يُدْنِي المؤمنَ ، فيَضَعُ عليه كنفَه ويَسْتُرُه ، فيقولُ : أتَعْرِفُ ذنبَ كذا : أَتَعْرِفُ ذنبَ كذا ؟ فيقول : نعم. أَيْ ربِّ ، حتى إذا قرَّرَه بذنوبِه ، ورأى في نفسِه أنه هلَكَ ، قال : سَتَرْتُها عليك في الدنيا ، وأنا أغفِرُها لك اليوم ، فيُعْطَى كتابُ حسناتِه" صحيح البخاري

ربنا يسترنا يارب. فيقول الله عز وجل"اليَومَ نَختِمُ عَلَى أَفوَاهِهِم" ولو شاء الله لختم على أفواههم في الدنيا، هما عمالين يتريقوا ويسخروا من أهل الإيمان ويقولوا شبهات فربنا بيقول"اليَومَ نَختِمُ عَلَى أَفوَاهِهِم وَتُكَلِّمُنَا أَيدِيهِم وَتَشهَدُ أَرجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكسِبُونُ" يس:65،

ثم تأتي آيات نشرحها المرة الجاية إن شاء الله من أول قول الله عز وجل"ولو نشاء.. ولو نشاء" يعني هذه العقوبات الأخروية الله قادر إنه يجعلها في الدنيا، هذه العقوبات الأخروية الله عز وجل قادر إنه يفعلها في الدنيا ولكنه لم يفعل، لماذا؟ ابتلاءًا،

"ذَلِكَ وَلَو يَشَاءُ الله لانتَصَرَ مِنهُم" محمد:4، قلنا المعنى ده مهم جدًا أن يستحضره أهل الإيمان في وقت الاستضعاف، يعني كثير يقولوا أمال ربنا سايبنا ليه؟ وإزاي؟ ومش ربنا قادر، طب إزاي ربنا قادر وسايبهم؟ هذا ابتلاء، الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار الجزاء، ده الأصل. أحيانًا يعجل لأقوامٍ في الدنيا، عدم فهم هذه الحقيقة يخلي الإنسان ممكن يسيء الظن بالله عز وجل والعياذ بالله، فلذلك بعد ما ربنا قال"اليَومَ نَختِمُ" قال بعدها "وَلَو نَشَاءُ لَطَمَسنَا" يس:66، كما أن الله قادرٌ على أن يختم عليهم وعلى أفواههم في الآخرة هو قادر على أن يفعل ذلك في الدنيا ولكنه لم يفعل سبحانه وتعالى ابتلاءًا لهم وابتلاءًا للمؤمنين، لأن لو كل كافر جه ينطق بكلمة الكفر خُتم على فيه وطُمس على عينه، خلاص الناس ما عدش فيه.. الابتلاء إن يكون فيه غيب، خلاص الناس محدش هيكفر، لذلك من الابتلاء إن أهل الإيمان ينتصرون ويُغلبون يبقى فيه مداولة "وَتِلكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا" آل عمران:140، ليه؟ لو أهل الإيمان بينتصروا على طول كان دخل فيهم المنافق، لذلك النفاق دائمًا بذرةٌ تنبت في وقت التمكين، هيصة بقى وكله داخل "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعبُدُ الله عَلَى حَرفٍ فَإِن أَصَابَهُ خَيرٌ اطمَأَنَّ بِه" الحج:11، قيل: إن أصابه خيرٌ أي إن انتصر أهل الإيمان يقول أنا معاكم مؤمن ولما أهل الإيمان يتغلبوا يقول لأ أنا فكرت واكتشفت إن الإيمان ده غلط "غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُم" الأنفال:49، فالمداولة حكمةٌ من الله، نعم هي بذنوبنا لكن هي حكمةٌ من الله حتى يظهر مين المؤمن من الصادق "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمنَّا بِالله" أنا مؤمن أهو"فَإِذَا أُوذِيَ فِي الله" العنكبوت:10، يقول لك لأ، ياعم ! "جَعَلَ فِتنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله" "ولئن جَاءَ نَصرٌ مِن رَبِّكَ" العنكبوت:10، ده أنا كنت معاكم "إِنَّا كُنَّا مَعَكُم" العنكبوت:10، الله! هو إنته مؤمن ولا مش مؤمن! هو إيمانه بيتغير مع الظروف الخارجية، ده علامات النفاق، أن يتغير إيمانك وعقائدك، إن فلان ظالم، اتغلب، أهو ظالم، كسب، لأ، ماطلعش ظالم، طب اتغلب، لأ ظالم ،لأ كسب، لأ ما طلعش ظالم، هو عمال يغير رأيه في الأشخاص وفي العقائد على حسب الظروف الخارجية، تغير الظروف تتغير العقائد، ده من علامات النفاق، الإيمان ثابت لا يتغير.

إيـــــــــاك والتلـــــــــون فـــــــــإن ديـــــــــن الله واحـــــــــد.

أسأل الله عز وجل أن يستعملنا ولا يستبدلنا وأن يرزقنا الجنة وأن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36